

الآثار السلبية للعلمانية في العالم الإسلامي (The bed effects of secularism in the Muslim world)

عبد السلام أحمد حسين الرياضي

محاضر، قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، بنغلاديش.

ملخص البحث

إن من أشد الانحرافات وأخطر الدماء التي أصيبت بها الأمة الإسلامية في هذا العصر - هي العلمانية، (Secularism)، وهي تعني في زبدة معانيها إقامة الحياة الإنسانية بكل جوانبها وأرجائها من السياسة والتربية والسلوك وغيرها على اللادينية أو على العداء على الدين والروحية، فهذه المقالة تشتمل على تعاريفها، وأضرارها على المجتمع الإسلامي، وآثارها السيئة على أرجاء الحياة المختلفة للأمة المسلمة، وقد تم التنويه إلى آثارها السيئة في الحكم والتشريع حيث إنها تلزم إلغاء الشريعة الإسلامية وإقامة القوانين الوضعية محلها، وفي التعليم والتربية حيث إنها تنظمها على المنهج المادي الناسوتي اللاديني، وفي قضايا المرأة حيث إنها تحكم فيها بالانحلال والإباحية المطلقة التي تجلب على الأمة ويلات ومآسي أليمة في دنياهم وأخراهم، وفي السلوك والأخلاق حيث إنها تقضي على الأخلاق الحسنة والشيم الرفيعة في الإسلام، وتحل محلها المصلحة والنفعية، والجنسية، وفي وجه الدعوة والإرشاد حيث إنها ترفض كل شؤون الدعوة والإرشاد، وتواجه الدعوة بكل عنف وشدة وافترء عليهم بوسائل الإعلام كلها، كما تتضمن هذه المقالة على بعض الاقتراحات وما يجب على المسلمين تجاه هذه النظرية الهدامة.



دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ

الجلد السادس عشر ، العدد الأول

لعام ٢٠٢١ و ٢٠٢٢ م

(طبع في سبتمبر ٢٠٢٣ م)

ص. ١٩٧-٢٢٨

IIUC ©

ISSN 1813-7733

الكلمات المفتاحية: العلمانية، الآثار، الأمة المسلمة، العالم الإسلامي.

Abstract

One of the most severe deviations and most dangerous calamities that have befallen the Muslim ummah at this time- is secularism. It means establishing human life in all its aspects, such as politics, education, behavior, and others, on non-religion or on hostility to religion and spirituality. This article includes its definitions, its harmful effects on the Islamic society, and its negative effects on the various aspects of life of Muslim ummah. It has been pointed out to its negative effects in governance and legislation, as it requires the abolition of Islamic law and the establishment of man-made laws in its place. And in education and upbringing, as it organizes them on the materialistic, non-religious approach. And in women's issues, as they are judged by decadence and permissioned absolute, which bring the nation woes and painful tragedies in their Life and the hereafter. And in behavior and morals, as they destroy good morals and the lofty morals in Islam, and are replaced by interest and expediency and sexuality. And in advocacy and guidance, as it refuses all affairs of da'wah and guidance. The muslim preachers contradicted with all violence and severity and slandering them by all the media. The article also includes some suggestions and what Muslims should do about this destructive theory.

Key Words: Secularism, Effects, Muslim Ummah, Muslim World.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلق، ومن بينهم الأنعام، وبعث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على فتراتٍ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث إلى كافة الخلائق بشيرا ونذيرا، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، حيث تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإيمان إلى يوم الدين.

أما بعد: فمن المعلوم أن الأمة الإسلامية كانوا على تلك المحجة البيضاء التي تركهم عليها نبيهم المصطفى ﷺ، ولكن مع مرور الزمن وعلى قدر الابتعاد عن عهد الرسالة النبوية قد تسرب إليهم بعض الانحرافات العقدية والعملية رويدا رويدا، ولكنها لم تبلغ أوجها إلا في هذا العصر، ومن تلك الانحرافات الزائفة العلمانية المادية، بل إنها لمن أخطر الدهماء التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا

العصر؛ إذ هي أشمل أبعادا، وأشد خطرا، وأعمق أثرا، وأسحر تجاوبا، وأغلب انتشارا من كل ما أصاب الأمة بالإضافة إلى كونها فكرة غريبة مستوردة، ولعل هذه النظرية الهدامة أضرب شيء على الإسلام والمسلمين اليوم، فكانت لها آثارها الخطيرة على المجتمعات الإسلامية في جوانب الحياة كلها أو جُلها، والتي وقعت في دنياهم وأخراهم من تخريب وتدمير وإفساد شامل، وفيما يلي موجز بيان لها من تعريفها وآثارها الهدامة.

العلمانية لغة

العلمانية كلمة مستحدثة ترجمة لكلمة Secularism في الإنكليزية و Secularite في الفرنسية، وهي تعني في اللغة المعاني الآتية بمجملها:

(١) الدنيوية أو المادية

(٢) ألا يكون دينيا أو روحيا

(٣) عدم الترهّب أو عدم الرهينة^١

وجاء في قاموس "أكسفورد" في شرح مادة "Secular":

(١) دنيوي أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا، مثل التربية اللادينية، والفن والموسيقى اللادينية، والسلطة اللادينية، والحكومة المتناقضة للكنيسة.

(٢) الرأي الذي يقول لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية^٢.

العلمانية اصطلاحا

العلمانية ترجع في معناها الاصطلاحي إلى ما ورد في القواميس الإنجليزية وفي دائرة المعارف البريطانية

(١) جاء تعريفها في معجم أكسفورد:

The belief that the state, morals, education ect should be independent of religion

أي هي: عقيدة بأن الدولة والأخلاق والتعاليم وغيرها لا بد أن تتمّ على أساس المادية والدينيوية، دون أن تعتمد على الدين.

(٢) تقول دائرة المعارف البريطانية في مادة "Secularism": هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها^٤.

(٣) قال جون هولبيوك في حد العلمانية: "بأنها الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الدين سواء أكان بالقبول أو بالرفض"^٥. والملاحظ في هذا التعريف أن الجزء الأخير من التعريف معارض للجزء الأول منه؛ إذ قصر الإصلاح لحال الإنسان على الوسائل المادية لا يراد إلا الرفض الكامل لقضية الإيمان.

(٤) ويقول بعض المحققين: إن العلمانية هي إقامة الحياة الشخصية والاجتماعية والسياسية على اللادينية^٦.

(٥) ورد في "المعجم الدولي الثالث الجديد" في مادة: (Secularism) وجهة نظر في الحياة، أو في أي شيء محدد تقوم على أساس ألا يتدخل الدين أو الاعتبار الدينية في الحكومة، أو أن تستبعد هذه الاعتبارات مقصودا، فمعنى ذلك "السياسة اللادينية البحتة في الحكومة" بلا شك^٧.

(٦) ويقول المستشرق "أربري" في كتابه الدين في الشرق الأوسط عن الكلمة نفسها: "إن المادية العلمية والإنسانية والوضعية والمذهب الطبيعي كلها أشكال لا دينية، واللا دينية هي صفة مميزة في أوروبا وأمريكا، ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط إلا أنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو أدبية محددة هناك، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية"^٨.

(٧) وقال البعض: هي فصل الدين عن الدولة أو فصل الدين عن الحياة، والتعبير السائد في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة" وهذا لا يعتبر المدلول الكامل للعلمانية الذي هو منطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي لا يكاد أن تكون له صلة بالدولة، ولو يقال: إنها "فصل الدين عن الحياة" ليكون أصح وأصوب، فالمدلول الصحيح للعلمانية إذاً هو إقامة الحياة على اللادينية.

(٨) وقال بعض الباحثين^٩ إظهاراً لعدم التعارض بين الإسلام وبين العلمانية حيث قال: "...والآن أتطرق لمحور - أو بُعد - آخر لمسألة العلمانية والإسلام.

فهل فعلاً لا يمكن أن يتعايش الإسلام مع العلمانية أم من الممكن أن يتعايشا؟

إن إعادة صياغة وتعريف بعض المفاهيم قد يسمح بذلك التعايش المنشود إن يتم .

فمثلاً لا بد من إيضاح أن فصل الدين عن الدولة أو ما يسمى بالعلمانية لا يعني إلغاء الدين أو محاربته، فالأديان موجودة وتمارس في جميع الدول العلمانية (كما ذكرنا). فمن حق الإنسان في ظل العلمانية أن يعبد ربه كيفما يشاء ولكن ليس من حقه إجبار باقي المجتمع على مفاهيمه الدينية.

وفصل الدين عن الدولة هو مفهوم قد يتفق مع بعض المفاهيم للقرآن - إن تم تحديد الفهم الديني بصورة تتفق مع مبادئ العدل والمساواة بين البشر. فعلى سبيل المثال، إن الدولة من حقها إجبار الناس على مبادئها في حين أن القرآن يرفض الإجبار والإكراه بصورة مطلقة. والآيات الداعمة لذلك واضحة وجليّة، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَمَا أَنْتَ

عَلَيْهِمْ جَبَّارٍ ﴿ق: ٤٥﴾ وَ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾
[الغاشية: ٢١-٢٢].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن أمور الدين لها مفاهيم مختلفة بين الفقهاء وعلماء الدين وبين الطوائف والجماعات المتناحرة باسم الدين. فمن ياترى هو صاحب الحق فيهم ليفرض مفهومه الديني على الآخرين؟ وهل أخذ من الله تفويضاً - ولديه دليل على ذلك - بأن مفهومه للدين هو المفهوم الصحيح وأن من حقه إجبار الآخرين عليه؟ وأيضاً فإن إيقاف العمل ببعض العقوبات والحدود الوارد ذكرها في مرحلة ما من تاريخ الإسلام (و هذا ما يراه البعض كفراً) ليس بكفر على الإطلاق، بل هو مجرد مفهوم مختلف للقرآن. فعلى سبيل المثال لا الحصر، إن عمر بن الخطاب في عام الرمادة أوقف العمل بما يسميه البعض "حد السرقة". فهل لابد من إعتبار عمر بن الخطاب "كافراً" لأنه فعل ذلك؟ أم نعتبه مجتهداً فهم روح الإسلام بطريقة مختلفة في هذا الشأن واعتبر القرآن مثل المرجع الذي يؤخذ منه ما يناسب العصر والظروف؟ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]

فهناك تبعاً لهذه الآية "الأحسن" - وبالتبعية سيكون هناك "الأقل حسناً" - داخل القرآن نفسه ألا وهو ما يتلاءم مع العصر والزمان.

والعلمانية تعني الوقوف على مسافة واحدة من جميع الأديان واحترامها، فنرى مثلاً أن الدول العلمانية في أوروبا وأميركا تسمح ببناء مساجد للمسلمين مع أنهم أقلية عندها. ولو لم تكن هذه الدول علمانية لما سمحت ببناء هذه المساجد ولمنعت المسلمين من أداء شعائرتهم. فالعلمانية ليست رفضاً للدين وإنما هي تعني العدل مع جميع المواطنين على حد سواء أيّاً كانت ديانتهم. ومبدأ العدل يتفق تماماً مع الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

وإن أوجزنا مبادئ العلمانية فهي تشمل المبادئ الثلاثة التالية - العدل بين فئات المجتمع على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم واحترام حق الأقليات الدينية في العبادة (أو بمعنى آخر عدم استضعافهم لأهم أقلية) وحرية العقيدة.

ومن الممكن فهم القرآن الكريم بصورة تؤيد هذه المبادئ. فقد أمر القرآن كما ذكرنا أعلاه "بالعدل" واعتبر القرآن فرعون أبشع طاغية لأنه استضعف أقلية دينية كانت تعيش في بلده وهم بنو إسرائيل ولم يساو بينهم وبين باقي المجتمع حينذاك، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ [القصص: ٤] وأقر القرآن أيضاً مبدأ حرية العقيدة ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

ويا ليت أصحاب الأصوات التي ترفض العلمانية بحجة أنها تتعارض مع الدين يدركون أنهم يتكلمون فقط عن مفهومهم الخاص أو عن مفهوم بعض الفقهاء عن الدين".

هذا كلام الباحث المذكور أعلاه، نعم، هناك بعض الإيجابيات لعلمانية الدولة، خصوصاً في الدول الغربية التي فيها المسلمون الأقلية، حيث تحقق الدولة الحرية الدينية للمسلمين وغيرهم، كما يحقق الإسلام الحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في دول المسلمين. وبما لا يتضائق المسلمون في تلك الدول التي تسود فيها النظم العلمانية، ويمارسون الأمور الدينية دون حرج.

خلاصة التعاريف

بغض النظر عن تقسيم بعض الباحثين للعلمانية إلى جزئية وشاملة أو ملحدة، وغير ملحدة أو هي متوافقة للإسلام تماماً كما يظن البعض^{١٠} جهلاً منهم عن معنى الكلمة لدى البيئة التي نشأت فيها كما يظهر عن تعريفها لكثير من الغرب، أو كوجهة نظرهم إليها بأنها مؤاطئة للإسلام ولا تخالفه، فإن الذي يثبت

عملياً وواقعياً هو كون العلمانية بأنها دعوة إقصاء الدين عن التأثير في جوانب الحياة الدنيوية للناس، وأن يحصر في الجانب الأخروي فحسب أو بعبارة أخرى حصره في الحياة الشخصية فقط، فلا علاقة للدين بأمور سياسة الدولة. وبناءً على هذا فإن التعريف الاصطلاحي للعلمانية الوارد في الموسوعة الميسرة والمذاهب المعاصرة يعتبر دقيقاً يفي بالغرض حيث قالت عن العلمانية: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتقصد في جانبها السياسي بالخصوص اللادينية في الحكم^{١١}.

فالعلمانية بهذا المفهوم تعد في نظر الإسلام أمراً جاهلياً، لا تتفق مع فلسفته، بل هي معارضة له تماماً؛ وذلك لأن الدين الإسلامي نظام الحياة المتكامل والمتوازن، ينظمها بجميع نواحيها وأنشطتها، فيوجه الناس إلى ما فيه سعادة الإنسانية في العاجل والآجل، وإبعاد الدين عن الحياة أو عن شؤون الدنيا من السياسة والاقتصاد والأسرة والمجتمع والتعليم والتربية وما إلى ذلك إنما هو في نظر الإسلام وفي نظر الأديان السماوية وحتى في بيئة ولادتها كفر وإلحاد، حيث عدته دائرة المعارف البريطانية إلحاداً عملياً؛ إذ تحدثت عن الإلحاد، وقسمته إلى قسمين: إلحاد قولي بين، وإلحاد عملي خفي، فأدرج العلمانية ضمن الإلحاد العملي، وهذه أكبر شهادة بأن العلمانية كفر وإلحاد؛ إذ هي شهادة من البيئة التي نشأت العلمانية فيها، وتبلورت، ثم تعدت إلى العالم شرقاً وغرباً. وشاهد آخر أكبر، يقول الشيخ الندوي: "فمما لا شك فيه أن دين أوروبا اليوم... هو المادية (اللا دينية) لا النصرانية، كما يعرف ذلك كل من عرف النفس الأوربية واتصل بالأوروبيين عن كتب لا عن كتب..."^{١٢} فكان لزاماً أن تضاد العلمانية للإسلام لأن الدين المختار عند الله هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فالعلمانية إذن بكل معاني الكلمة كفر بواح، وإلحاد صريح

واتجاه لا ديني، دون أدنى شك -نسأل الله السلامة والعافية-^{١٣} فلما كانت العلمانية نظرية مادية لادينة بحتة مستوردة من الغرب معادية للدين الإسلامي بتاتا كانت لها آثارها الخطيرة على المجتمعات الإسلامية في جوانب الحياة كلها أو جلها، والتي خربت، ودمرت، وأفسدت دنياهم وأخراهم، فأصبحوا عالة على الغرب، وفيما يلي تسليط الضوء على تلك الآثار الهدامة بإيجاز:

(١) آثار العلمانية في الحكم والتشريع

كان المسلمون طيلة ثلاثة عشر قرنا يرجعون إلى مصادرهم التشريعية - القرآن والسنة والإجماع والقياس-، ويطبقون أحكامها في واقع حياتهم مع تفاوت يسير في التطبيق، ولم يكن في خلد أحدهم يدور أن المسلم يمكنه التحاكم إلى غير شريعة الله تعالى أو أنه سيبقى مسلما إذ يتحاكم إلى غير شريعة الله عز وجل، ثم لما دخلت العلمانية- كنتيجة الاستعمار- إلى العالم الإسلامي متدرجا صار من أشد المحن والبلايا التي افتتن بها المسلمون أن نحيت الشريعة الإسلامية ووضعت محلها القوانين الوضعية، فبدؤا يحكمون بالقوانين الوضعية الكافرة اللعينة بدل أن يحكموا بالأحكام الشرعية الإلهية، وكانت بداية تسرب القوانين الوضعية المركزة على ديار المسلمين هو تحويل أتاتورك تركيا الإسلامية إلى تركيا العلمانية والغربية بعد أن ألغيت الخلافة الإسلامية وألغي تطبيق مجلة الأحكام العدلية، فعادت أُنموذجا للبلاد الإسلامية الأخرى لتسرب العلمانية وشيوعها كالديار السورية والمصرية والهندية وغيرها، فمثلا:

أ- أدخل القانون الفرنسي في مصر عام ١٨٨٣م بيد الخديو إسماعيل المفتون بالغرب.

ب- وكان الأحكام في الهند وفق الشريعة الإسلامية حتى عام ١٧٩١م، ثم ألغيت الشريعة بأيدي الإنجليز.

ج. وتم إلغاء الشريعة الإسلامية في الجزائر سنة ١٨٣٠م عقب الاستعمار الفرنسي.

د- كما أدخل القانون الفرنسي في المغرب سنة ١٩١٣م^{١٤}.

فالذين ألغوا الشريعة الإسلامية وأدخلوا القانون الأجنبي في الدول الإسلامية فقد زعموا أن العلمانية هي التي تتكفل سعادة الناس وراحتهم في الدنيا والآخرة، وهي التي تسبب التقدم والرفق والازدهار، أما الإسلام فإنه صار لديهم تخلفاً ورجعية ومانعاً عن التحضر والتطور التقني. العياذ بالله!^{١٥}

كانت علمانية "كمال أتاتورك" وهي التي تعتبر أم العلمانيات في البلدان الإسلامية تطرد وترفض الشريعة الإسلامية في جوانب الحياة كلها، حتى في الأحوال الشخصية، فكانت تحرم الطلاق، وتعدّد الزوجات، كما تسوي ميراث الأبناء والبنات، وهكذا كان حال معظم البلاد الإسلامية بعد الاحتلال، فالعلمانية لا ترى التشريع الإسلامي حق الإسلام، بل هو حق المجتمع لديها^{١٦}. ولا غرابة في أن ينكر العلمانيون حق التشريع للإسلام، ويطردونه، فإن جذور مثل هذه الفكرة الباطلة قد كانت في الماضي، ولم تزل في العصر الحاضر، وستكون موجودة في المستقبل، قال الله عز وجل حكاية لما قال قوم شعيب له في هذا الصدد: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَافُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]

من المؤسف جداً أن العلمانية لم تزل باقيةً وبدأت تنفذ في البلاد المسلمة في الآونة الأخيرة، بعد أن راح المستعمرون منها، وذلك بأيدي خلفائهم وعملائهم من المسلمين مصداقاً لقول المصطفى ﷺ: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ قَبْلَكُمْ شَرًّا بِشَرِّ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ؟"^{١٧} بل قام هؤلاء بمالم يقوم به المستعمرون.

٢) آثار العلمانية في التعليم والتربية

إن المبشرين المنصرين قد فتحوا المدارس الكثيرة في بلاد المسلمين ابتداء من رياض الأطفال وانتهاء إلى الجامعات، وعلى رأسها الجامعة الأمريكية والكلية اليسوعية في بيروت وغيرها، وقاموا برعايتها وإدارتها لمصلحة التبشير والتنصير، ومن مكرمهم وحيلهم أن يروجوا بين المسلمين الأكاذيب والأباطيل بما فيه نشر العلمانية، يقول صموئيل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٠٥٣م ما نصه: "... ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام، (وخير سبيل له نشر العلمانية اللادينية) ليصبحوا مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"^{١٨}. فأفسد العلمانيون مناهج التعليم والتربية تماماً، ويتضح ذلك خلال النقاط التالية:

أ- كتبهم الدراسية مملوءة بالطعن في الإسلام ونبي الإسلام وتشويه صورة الإسلام.

ب- قاموا بإدخال مناهج التعليم العلماني والغربي في كل المدارس لمسح الأجيال القادمة.

ج- قلّصوا ونقصوا حصة المادة الإسلامية وجعلوها في آخر الحصص لإذهاب قيمته من نفوس الدارسين.

د- أبعادوا من المنهج ما هو كاشف الغطاء عن الصورة الحقيقية للعلمانية وما لها من سموم قاتلة للإنسانية؛ وذلك محواً للفكرة المناهضة للعلمانية والغريبة من نفوس الطلاب.

س- وحرّفوا النصوص القرآنية والحديثية لتتوافق العلمانية، أو أن لا تكون مخالفة لها على أقل تقدير.

ط- قاموا بالإكراه على الاختلاط في التعليم، وعلى التبرج والسفور ضد الحجاب الإسلامي.

ع- وقام المستشرقون المستشارون للعلمانيين بإثارة الشبهات حول كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ف- كما كان المنصرون يساهمون في تحقيق الأهداف العلمانية ليتكوّن جيل يقدر على حمل أمانة المستعمرين باسم الحضارة والتقدم بأن استعد جم غير من الإرساليات التبشيرية بالصحافة أو التعليم والتربية أو السياسة، فنشروا العلمانية اللادينية المادفة والحضارة الغربية المادية.

ل- برز من الأدباء والشعراء والكتاب بنشر أدب الردة والفجور والانحلال مما يساعد على شيوع الأفكار المادية، ويسهم في التجرؤ على المقدسات الإسلامية حتى على الذات الإلهية - سبحانه وتعالى -.

م- الاحتقار بالماضي الإسلامي المجيد، وتربية النشأ الجديد تربية لادينية، ليقف كل أولئك بجانب المنظمات اليسارية واللا دينية، أو هم يؤسسونها ويكوّنونها^{١٩}.

ومن المعلوم أن التعليم والتربية هما ركيزان أساسيان لتغيير قوم، ومن هنا كان الله سبحانه وتعالى هو المعلم للأنبياء، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ثم هم كانوا معلمي الأمم عبر القرون ليغيروا أحوالهم، وكان نبينا محمد ﷺ معلم البشرية معلماً ميسراً، فقد قال: (...وَأِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا) ^{٢٠} وفي رواية (مُعَلِّمًا مُبْسِرًا) ^{٢١}، فأثر التعليم والتربية البالغ في تغيير شعب أو قوم قضية لا تنكر، ومن هنا قال بعض المفكرين ^{٢٢} لو أن فرعون قرر منهجا تعليميا من عنده لتحقيق

هدفه المنشود - وهو الزعامة والسيادة - لكان ناجحاً، ولما اضطر إلى قتل آلاف من أطفال بني إسرائيل، فمن هذا المنطلق وإدراكاً لخطورة التربية في الناس قد اهتم العلمانيون بالتعليم والتربية، وجعلوا له منهجاً علمانياً لا دينياً، فكان أبلغ شيء في تحقيق أهدافها، وهي نشر الإلحاد، والمادية والإباحية والانحلال والتشرد في المسلمين.

(٣) آثار العلمانية في قضايا المرأة

من المعلوم أن بعض الانحرافات قد تغلغل في المجتمعات المسلمة منذ قرون طوال، ولكن ما بلغت صورة الانحراف أوجها إلا في مطلع العصر الحديث حيث كان المنبهرون بحضارة الغرب والمعجبون بعبادات باريس ولندن ... من السفور والتبرج والإباحية وتعاطي الجنسية دون قيد - عادوا إلى بلادهم، فقاموا بنشرها بكل حماس وطموح، فداعت دعوتهم في كثير من الأقطار الإسلامية كتونس والعراق والسوريا وغيرها. بدأت تظهر دعوة السفور والتبرج في بلاد المسلمين حتى أن تم إحراق نقاب شرعي في ميدان "التحرير" في مصر من قبل نساء علمانيات بمظاهرة سيئة جريئة ضد الحجاب الشرعي، كما تم نشر كتاب "السفور والحجاب" الذي صنفته نظيرة زين الدين، وكان أول مكتوب في دعوة السفور والتبرج علماً بأن الذي قدم له هو علي عبد الرزاق الذي كان أصدر الحكم بإحراق الأزهر، وبفصل شيخ الأزهر من مشيخته، وكما مزق الحجاب في كل من تونس والمغرب الأقصى والجزائر وفلسطين وإريتريا في العهد الاستقلالي، وشاع هذا الداء العضال في أنحاء البلاد الإسلامية، فأصبحت النساء المسلمات يبدئن في كشف المفاتن من الذراع والصدر والسيقان، وظهرن بالأزياء الغربية الفاسقة كاسيات عاريات كما أخبر به المصطفى ﷺ: " ... وَنِسَاءُ كَاسِيَّاتٍ عَارِيَّاتٍ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ

لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَحِدْنَ رِجْلَهَا وَإِنَّ رِجْلَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ كَذَا وَكَذَا...."٢٣. وتشجعن بالاختلاط بالرجال في المدارس والجامعات والمعامل والمصانع، وامتألت المحلات والمتاجر بالعمالات والبائعات، والتحقن بالغربيات العاريات، حيث لا يستطيع أحد أن يميز هل هذه البنت فرنسية أم تركية أو إماراتية أو كويتية أو باكستانية أو بنغالية مثلاً، وكل ذلك باسم "حقوق المرأة" أو "تحريرها" أو "مساواتهن بالرجال" - دعوات غريبة مخدوع بها المسلمات الساذجات-٢٤.

فبنجاح فكرة تحرير المرأة - لا قدر الله نجاحها - شاعت وذاعت الفوضى الجنسية والأخلاقية في معظم أقطار العالم الإسلامي، وازداد الحال سوءاً على سوء في عهد الاستقلال، بأن حوريت أحكام الله تعالى وعوديت شرائعه بأيدي أبطال الاستقلال أكثر مما حوريت وعوديت بأيدي المستعمرين السوداء، قال الشيخ علي الطنطاوي وهو شاهد عيان بعنوان: "امتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجللاء في سوريا" : "فما الذي كان في ذلك اليوم؟! كان أن دمشق التي عرفناها تستر بالملاءة البنت من سنتها العاشرة شهدت يوم الجللاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشين في العرض بادية أفخاذهن، تتهز نهودهن في صدورهن، تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة... وأخذت صور هذا كله، ونشرت في الجرائد، وعرضت في السينمات، فازداد جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق، وشهدت بنتا جميلة زينت بأبهى الحلل، وألبست لباس عروس، وركبت السيارة المكشوفة وسط الشباب... وقالوا إنها الوحدة العربية، ولم يدر هؤلاء أن العروبة إنما هي في تقديس الأعراض لا في امتهانها، وكان في العرض مناظر كثيرة من أمثال هذا، وقالوا إنها لوحات حية تعبر عن الفرح والسرور، وقالوا إنه يوم النصر، يجوز فيه ما لا يجوز في غيره"٢٥.

وكان دور وسائل الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز والدشوش التي تديرها اليهود دوراً خطيراً للغاية قامت بتحطيم ذاك السياج الذي كوّنه الإسلام لمحافظة العرض والشرف والمجد والقيم، فانتشر التبرج الصارخ والأوبئة الغربية في كل بلاد المسلمين تسلاً من الغرب المنهارة فيها، فكانت هذه تغيرات عجيبة غير متوقّعة تعاكس في البلاد الإسلامية، ويتضح ذلك بالمقتطفات المشهود بالأعيان.

نساء المسلمين قبل الاستعمار

يقول الشيخ علي الطنطاوي: "وكانت النصرانيات واليهوديات من أهل الشام يلبسن قبل الحرب الأولى الملاءات الساترات كالمسلمات، وكل ما عندهن أنهن يكشفن الوجوه...". "وكان السفور بين المسلمات مستغرباً حتى أنه جاءت مرة وكيلة لثانوية البنات إلى المدرسة سافرة، فأغلقت دمشق كلها حوانيتها، وخرج أهلها محتجين متظاهرين حتى روعوا الحكومة، فأمرتها بالحجاب، وأوقعت عليها العقاب، مع أنها لم تكشف إلا وجهها...".^{٢٦} "وكانت نساؤنا كمنازلنا، يسترهن الحجاب السابغ، فلا يبدو جمالها إلا لمن يحل له النظر إليها، فهتكت الأستار عن المرأة وعن الدار...".^{٢٧}

ويرى الباحث أن هذا الحال لم يكن خاصاً بالبلاد الشامية، بل كان سائداً على العالم الإسلامي كله على تفاوت يسير فيه، والدليل على ذلك ما شاهدناها من بعض الأحوال من النساء المسلمات، حيث رأينا - وأنا صغير - بعض جداتنا وأمهاتنا لا يخرجن لحاجة إلا ليلاً، وإن خرجن نهاراً خرجن بملاءة سابغة مع ستر الشمسية أو المطرية، بل سمعنا أن بعض النساء المسلمات في بعض مناطق بنغلاديش (مثل سانديب) كن يستترن بمطريتين؛ ذلك للحماية عن أعين الناس لا للحماية عن الشمس أو المطر سبحانه الله!. وهل مثل هذا حكم شرعي؟ هذا موضوع آخر ليس المكان مكان تفصيله، والقصد بيان أن النساء

المسلمات كن يلبسن الملابس الساترات، ويلتزم الحجاب الإسلامي بأبلغ صورة وأستر حالة يمكن، وكن أطمع الناس وأحمسهم في تمسكهن بثقافتهن وتقاليدهن الدينية والاجتماعية، وكن يعتززن بها اعتزازاً، ويحتقن السفور والتبرج تبرج الجاهلية الأولى والآخرة.

ما العواقب الوخيمة التي جلبتها حرية المرأة على المرأة المسلمة؟

كانت النساء في الإسلام أمماً أو بنتاً أو أختاً، -محرمَةً أو أجنبيةً- مصونةً محفوظةً ومكرمةً مشرفةً، ثم خرجن عن بيوتهن، وتركن حجابهن الشرعي وراء ظهورهن طلباً للحرية الغربية الخادعة باسم "تحرير المرأة"، وحقوقها، وبدأن الاختلاط مع الرجال في المتاجر والمصانع، وفي الأسواق والشوارع، وفي النوادي والشواطئ، وفي دوائر الحكومات والمؤسسات المتنوعات ليفسدن أحوالهن، ويفقدن أعراضهن، بل وزدن سوءً حتى بدأن يساهمن في السينمات والتمثيلات والمسرحيات والرقص والغناء، التي أحدثها وأنشأها المستعمرون تحت اسم المدنية والترفيه وما إلى ذلك، وأدرجوا جيوشاً أخبت من جيوش المستعمرين من الممثلين والممثلات، والبغايا والراقصات، يشجعون على إنشاء المسارح وزمر الغناء والتمثيل والمراقص والملاهي المتنوعة، عادت الأجنبية أولاً ثم الوطنيات من غير المسلمات، ثم تشجعت بكل ذلك المرأة المسلمة على السفور والتعري والاختلاط الماجن، وتجرأن التقليد في كل شيء من الغناء الفاجر والرقص الكاشف والتمثيل العاري...، كأنهن يستبدلن ما يعدهن الشيطان غروراً من الحقوق والحرية والمساواة الموهومة بما كرمهن الله به من الحقوق العادلة والمكانة السامية والكرامة العالية.

فنتيجة عما سبق وقعت النساء المسلمات فريسة لمكيدة يهودية في بلادهم؛ لأن اليهود أفسدت النساء في أوروبا الغربية، وتسربت تلك العدوى إلى بلاد المسلمين، ليصبحن أمتعة ملذة مهانة للعلمانيين والجنسيين الذين يريدون إشباع الغريزة الجنسية بأي طريق كان، فأصبحت دور البغاء المرخصة، والخمارات العارية مفتوحة في معظم العواصم الإسلامية، ما تجرأ به الناس على ارتكاب الموبقات والمعاصي باسم الحرية الشخصية، فعمت وشاعت الزنا والربا واللواط والمسكرات والمخدرات، وعمت جريمة القتل والاختطاف والاعتصاب والتحرش الجنسي، والانحلال الأسري والضياع وما أشبه ذلك من الجرائم الاجتماعية في العالم الإسلامي التي تماثل ما يحدث في أوروبا وأمريكا الغربية، حتى الصبيات اليوم تتعرضن للاختطاف والتحرش من قبل الجنسيين الشهوانيين، ولا يعزب مثل هذه الحوادث عمن يتصفح الجرائد اليومية، كأن دنيا الإنسانية اليوم أصبحت دنيا البهائم^{٢٨}.

كذلك أنتج التعاطي البهيمي للشهوات والغريزة الجنسية دون تقيد بالقوانين والأصول الشرعية الإسلامية القلق والاضطراب والأمراض النفسية، بل والأمراض الفتاكة كالإيدز كعذاب أليم من الله عز وجل، إن هذا إلا كسب أيدي الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]^{٢٩}. وكما ورد على لسان المصطفى ﷺ إرشادا لمثل هذا إذ يقول: " خَمْسُ خِصَالٍ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَنْ تَنْزَلَ بِكُمْ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُمْ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فَشَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَمَا مَنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْمَطَرَ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُصُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا

سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابَهُمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكَمْ أَمَّتُهُمْ
بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَّخِذُوا فِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ" ٣٠.

فعلينا- نحن المسلمين- أن نغير أحوالنا وما بأنفسنا حتى يغيره الله، فإنه تعالى
يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فلنعد
ونرجع إلى كتاب ربنا وسنة رسولنا تاركين اتباع الغرب وأمريكا؛ إذ هما أصلا
مرتكران لمجد المسلمين، فما وهنوا وما استدلو ما تمسكوا بهما، بل كانوا أقوى
قوم وأفضل أمم علماً وثقافةً وحضارةً في العالم، يقول المصطفى ﷺ: "تركت
فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله" ٣١. نرجو أن
تكون النهضة الإسلامية على مستوى العالم خير بداية لأمنياتنا هذه.

٤) آثار العلمانية في السلوك والأخلاق

كما قلنا سابقاً إن العلمانية تعني فصل الدين عن واقع الحياة من كل جوانبها
بما فيها قضية السلوك والأخلاق، فكما أن العلمانية تركت أثرها أو سمها القاطع
في الجوانب الأخرى من الحياة كذلك تركت آثارها الخطيرة السيئة في الجانب
الأخلاقي والسلوكي، بل وأكثر، فدمرت مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم
والسلوكيات الرفيعة والقيم المثلى التي تنبعث من عقيدة المسلم، فتنقر الناس من
الأخلاق كجزء مهم من الدين على أساس أنها نشأت معادية للدين، وكان أمرا
محليا بظروف محلية في الغرب، ثم انتشرت العدوى مع الحضارة الغالبة حيثما
حلت ونزلت.

وقد ساهمت نظريات علم الاجتماع في إفساد الأخلاق والدين تأراً من الكنيسة
وتأثراً من اليهود الحاقدين على البشرية جمعاء، فكان لكل واحد من ماركس
وداروين ودوركايم وفرويد- كلهم من اليهود الحاقدين- دور فعال في هدم
الأخلاق بنظرياتهم المادية واللا دينية.

ومن المؤسف جداً أن هذه النظريات لم تنزل تدرس في بلادنا ومدارسنا وكنياتنا وجامعاتنا دون تفحيص وتمحيص تحت اسم دراسة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم الأخلاق، فبدأ الجيل الجديد ينشأ معادياً للدين والأخلاق والقيم، بل صاروا دعاة العلمانية بحماسة يحادون الله ورسوله ويعادون تطبيق الشريعة الإسلامية، العياذ بالله^{٣٢}.

هناك تصرفات للعلمانيين الماديين حلت محل الأخلاق الحسنة والشيم الرفيعة والقيم المثلى في الإسلام، وفيما يلي موجز بيان ذلك:

أ- **سيادة النفعية وشیوع المصلحة:** فبعد أن اضطرب أثر الإيمان في قلوب الناس بسبب أثر العلمانية استمدوا قيمهم من الهوى والمصلحة الشخصية، والربح والنزعة التجارية، وقد عمت النفعية وشاعت في مجتمعاتنا المعاصرة مع أن الإخلاص والصدق وحسن النية والأمانة والإيثار والتوادر كانت خواصها وسماتها السائدة إذ كانوا حريصين على تعاليم الشريعة الإسلامية حيث قال الرسول ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى"^{٣٣}. والمعلوم تاريخياً أنه دخل في الإسلام أفواج من الناس بأخلاق التجار المسلمين الصادقين والمشايخ...، ثم انتشر الكذب والخيانة والغش والأنانية اكتساباً للمنفعة والمصلحة الشخصية لتحل هذه الرذائل محل تلك الفضائل، وهذا من بروتوكولات الصهاينة الهامة^{٣٤}.

ب- **شیوع الإباحية والانحراف:** إن ميزة القرن العشرين انتشار الرذيلة والجهل بالمعاصي بشكل لم يكن له نظير حتى في الجاهلية الجاهلاء، وقد زينوا الشهوات ومجدوا العرى وحطموا الحواجز الأخلاقية بمختلف الطرق وشتى الفنون، كما تفننوا في إقامة المسارح المختلفة والليالي الحمراء في الشرق والغرب، وتغلغت الأغاني الخليعة والرقصات الساقطة في المنازل والأسواق عبر وسائل الإعلام

المختلفة وأشرطة الفيديو المتنوعة. وعادت فنون العرى والرقص والإباحية المتمثلة في التمثيل السينمائي والمسرحي والأفلامي، تلقى دروسها على أنها فن رفيع، بل أضحى فنا عالميا على أيدي الماسونية والصهيونية والإباحيين السوداء، فتخرج الممثلون من جامعات متخصصة، ثم لقبوا بأنهم النجوم بعد ممارسة الفاحشة ردحا من الزمن، كأنهم نجوم السماء- نسأل الله السلامة والعافية-، وهكذا يصيدون أبناءنا، فيصهرونهم في هذه البوتقة^{٣٥}.

ومن هنا يجب علينا -نحن المسلمين- أن نعود إلى جادة الطريق والتربية الإيمانية لتكون أخلاقنا وسلوكياتنا منبثقة من عقيدة المرء الصحيحة كما كان الحال في فجر الإسلام، فلا بد أن تكون العقيدة صافية نقية وأن يترسخ في قلوب المسلمين؛ لأنه إذا يستقر الإيمان في القلوب يظهر آثاره في الجوارح والسلوك.

وقد اتضح مما سبق أن ارتباط الأخلاق والعبادة بالإيمان والعقيدة ارتباط وثيق كما أوضح ذلك الرسول ﷺ في أبلغ وموجز بيان إذ قال: "عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا خُطِبْنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"^{٣٦}.

وقال ﷺ: "مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثَةٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِيَ حَانَ". وفي رواية "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ"^{٣٧}. فإذا كان المسلم لا يجد حرجا في قلبه أن يكذب أو يغش أو يخون الأمانة أو يخلف العهود- كان قد تجرد من أخلاقيات "لا إله إلا الله"، وقيمها المثلى والإنسانية^{٣٨}.

٥) أثر العلمانية السيئ في الدعوة والإرشاد

لقد اجتهد العلمانيون والمتغربون ليغلقوا شؤون الدعوة الإسلامية، فوقفوا ضدها، وسلوكوا كل مسلك في سبيل ذلك، فمكروا مكرا بأن وصفوا الدعاة المسلمين والعلماء المرشدين بصفات ذميمة^{٣٩} كمبتغي المال والمناصب والجاه والنساء، وبأنهم المتعطلون والأصوليون والرجعيون والمتخلفون والإرهابيون، وبأنهم أعباء المجتمع، كما سدوا عليهم كل باب النشر والإشاعة لبياناتهم وكلماتهم وكتاباتهم، ثم أذاعوا ذلك بوسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية كما أذاعوها عن طريق المسرحية والسينما بكل سخرية واستهزاء وازدراء لترفع الناس عنهم متنفرين^{٤٠}، وخير شاهد على ذلك ما حدث متأخراً في بنغلاديش من إعداد قائمة ١١٦ عالماً وواعظاً، و ١٠٠٠ مدرسة دينية من قبل لجنة مسماة بـ "لجنة جماهيرية"^{٤١}. وهكذا لما حدثت الفجوة في الميدان شمر العلمانيون عن ساق الجد فيه، فقاموا برفع هتافات متنوعة من دعوات حقوق الإنسان والحداثة والتقدم والعلم وما إلى ذلك مستهدفاً بها نشر العلمانية والإلحاد والفساد ليكون العلمانيون حكومة علمانية إبليسية، وأشاعوا كل النظريات والمذاهب الهدامة جوراً وزوراً بوسائل الإعلام، وأصدروا كتباً تحمل أفكاراً علمانية وغربية كافرة، بل فتحو كل أبواب النشر لمثل هذه المذاهب، ومنحوا مؤلفيها جوائز قيمة، وألقاباً فائقة.

ومن المؤسف جداً أن هناك خلفاء الغرب من المسلمين العلمانيين بعد الاستقلال، فقاموا بأكثر ما قام المستعمرون؛ لذا ولغيره ينبغي للعلماء والدعاة أن ينسوا أو يتناسوا الخلافات الفرعية، ويتفوقوا على الأصول والثوابت والقطيعيات؛ ليكونوا قوة متفقة أمام مهاجمة العلمانية والتغريب والإلحاد، وذلك امتثالاً لأمره تعالى إذ يقول: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل

عمران: ١٠٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

آثار العلمانية في جمهورية بنغلاديش

ومما يلائمني كباحث أن أنوه لما حدث ويحدث في مجتمع بنغلاديش نتيجةً لعلمانية الدولة، إن الدين الإسلامي والمسلمين هما أكثر شيء تضررا بالعلمانية على مر العصور كما يراه بعض الباحثين، ونفس الحال في بلادنا بنغلاديش، وفيما يلي قطوف من أضرار العلمانية في بيئة بنغلاديش:

فبعد أن استقلت بنغلاديش رأى الناس عجباً، هجمات شرسة على الإسلام من جوانب، كأنه عدو لدود لهم، كلمات وبيانات وخطب ضد الإسلام ولإغلاق تعليم الإسلام واللغة العربية التي نزل فيها القرآن، علماً بأنه كان منهج التعليم في المنطقة في عهد الاستعمار البريطاني علمانيا تماماً، بل كان مناهضاً للدين في الحقيقة، وكانت هناك فلتات متبقية من تعليم الإسلام بمحاولات شخصية بادر إليها علماء الإسلام لإبقائه ولو على صورة ضعيفة فردية غير حكومية، فكانت تلك الخطب والبيانات ضد الإسلام لإبادة هذه البقايا في بلد نسبة المسلمين فيها ٩٠٪ في المئة يا للعجب!^{٢١} وأعجب من ذلك أن دستور الدولة ينص في مادة ٨ على أن نظام الدولة يبتني على المبادئ الأربعة، وهي: القومية والاشتراكية والديمقراطية والعلمانية. [تعتبر هذه المبادئ وجميع المبادئ الأخرى الناشئة عن هذه المبادئ المذكورة في هذا القسم المبادئ الأساسية لإدارة الدولة.]، وجاء في بيان طريقة التنفيذ لمبدأ "العلمانية" في مادة ١٢[١٢]. تلغى: (أ) جميع أشكال الطائفية، (ب) إعطاء أي خصوصية وميزة لأي دين من قبل الدولة، (ج) إساءة استخدام الدين لأغراض سياسية، (د)

التمييز أو الاضطهاد ضد الأشخاص الذين يمارسون ديناً معيناً]. ولماذا مثل هذه الاضطهادات والاعتداءات ضد الإسلام والمسلمين؟ أليس هذا مخالفة لنظام الدولة؟ ولكن حدثت ولم تزل تحدث مع الأسف!

نعم، هناك تفسير خاص للعلمانية لبعض القادة كمؤسس دولة بنغلاديش شيخ مجيب الرحمن حيث كان لا بعادي الإسلام أبداً، بل كان يحامي كل دين وأتباعه، قال البروفيسور أمرتاً شان الحائز على جائزة نوبل عن تفسير شيخ مجيب الرحمن للعلمانية: العلمانية عنده عبارة عن الحرية الدينية وامتناع عن اتيانها في السياسة، وهذا ما يميز العلمانية لدى بنغابندو (صديق البنغال) شيخ مجيب الرحمن من نظرية العلمانية للغرب تماماً، وبإمكان دول شبه القارة الهندية أن تتعلم من مفهوم العلمانية لديه^{٤٣}، كما جاء إعلان عام عن مثل هذا بعد فوز حزبه رابطة عوامي في انتخابات ١٩٧٠، حيث ينص على أن الإسلام والأقليات هي السمات الرئيسية للنظام، وأن الإسلام هو الدين المفضل للغالبية العظمى من السكان. قررت رابطة عوامي أن الدستور سيكون له ضمانات واضحة بأنه لن يتم سن أو تطبيق أي قانون يتعارض مع تعاليم الإسلام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية في باكستان كما سيشمل النظام ضمانات للحفاظ على قدسية المؤسسات الدينية^{٤٤}.

فكرة بنغابندو هذه حول العلمانية من تحقيق الحرية الدينية يتوافق مع الإسلام تماماً، حيث إن الإسلام حقق حرية الدين لكل مواطن، كما جاء في النص القرآني: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ، ومع ذلك فإن الواقع أمر آخر كما هو بين.

وقد تم إبعاد كلمة الإسلام من تسامي كل من "جامعة جهانغير نغر الإسلامية" وسموها "جامعة جهانغير" و من "مبنى القاضي نذر الإسلام" السكاني، وسموها

"قاعة نذرل/ المبنى السكني لنذرل"، كما أزيحت آية ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] في قالب كتاب من شعار جامعة داكا، وهو كهذا ، وآية ﴿افْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] من شعار مجلس التعليم، داكا" كما حوّل عدد من المدارس الإسلامية إلى كليات علمانية المنهج، مثل كلية الحاج محمد محسن وهي المدرسة المحسنية سابقاً^{٤٦}، وقد أُلغيت المواد الدينية من الخطوط العريضة لمنهج التعليم الجديد، حيث إنه يبتني على لجنة التعليم الأولى المسماة بـ "لجنة الدكتور قدرت خدا للتعليم" وغيرها، وأنه لا يدرس مادة الدين الإسلامي إلى الثانوية، وإنما تدرس في المرحلة المتقدمة منها كمادة إضافية، فأسقطوا مادة الدين الإسلامي من قائمة المواد الإجبارية إلى ما قبل المرحلة الجامعية علماً بأن الطلاب الجامعيين يقبلون إلى التخصصات المحددة التي لا توجد فيها أيضاً مادة الدين الإسلامي، فيترب على ذلك أنهم يحرمون من التعليم الديني كلياً^{٤٧} وحطت درجات المادة الإسلامية الرمزية إلى ٥٠ من ١٠٠ كما تم تقليصها في عهد حكومة حزب علماني فيما بعد. حتى اتهم الإسلام بأنه باكستاني العياد بالله، وهل ينسب الإسلام إلى قوم أو إلى بلد بأن يوصف مثلاً عربي أو باكستاني؟ بل الإسلام دين عالمي جاء هدى للناس أجمعين، وهو صالح لكل زمان ومكان.

كانت مادة الدين الإسلامي إجبارية على مستوى الكلية، وجعلت اليوم اختيارية، ففقدت هذه المادة (الإسلام) قيمتها في المرحلة الثانوية أيضاً نتيجة عن كينونتها إضافةً على مستوى الكلية، ومع الأسف الشديد كانت مادة الدين الإسلامي في كلية الآداب اختيارية، وأبعدت اليوم من الكلية^{٤٨}، بل أشد منه وأمر أنه لا يوجد اسم مادة الدين الإسلامي في قائمة المواد الإجبارية

للمرحلة الثانوية حسب قرار نظام التعليم لـ ٢٠١٠ م^{٤٩}. أليس مثل هذا غريبا منكرا في بنغلاديش التي فيها نسبة المسلمين ٩٠٪؟!

ومما يستغرب أنه لم تكن البسملة موجودة في بداية دستور الدولة عندما وضعه لجنة التأليف- وإن ألحقت بعد في عهد بعض رؤساء الدولة-، مع أنه كان أحد أعضاء اللجنة ذو الشأن- مشرف حسين- قد اقترح بوضعها في مبدأ بنود الدستور، فكان مرفوضاً، رغم أن القوانين في الدول العلمانية تشمل اسم معبودهم من المسيح أو الإله، وإن أعضاء برلمان الدول العلمانية كالهند وغيرها لا يستحيون عن انتمائهم لدياناتهم، فلماذا ينقمش من ذكر الله أو الإسلام نواب برلمان بنغلاديش مع أن المسلمين هم الأغلبية فيها؟! فكأن اسم الله والإسلام أثقل شيء عليهم أو أنكر^{٥٠}.

فاتضح بما تقدم من البيان أن العلمانية لا تعني عدم التعرض للدين، أو تركه حراً منطلقاً، ينطلق به الفرد، كما يدل على ذلك بعض الاستعمالات، وإنما تعني في بلادنا وفي الهند، بل وفي العالم كله العداء للدين عامة وللإسلام خاصة؛ لذا نالت العلمانية من الإسلام ما لم تنله من غيره، سواء أكان في البلاد التي هي أغلبية المسلم، أو في البلاد التي هي أقلية المسلم مع الأسف، والواقع والحوادث على مستوى العالم خير شاهد على ما قلنا، لأجل هذا وذاك ينبغي للمسلم التيقظ والتنبيه الكاملان بخطر العلمانية حتى لا يتضرر الأمة الإسلامية أكثر مما أصابها. نعم، ومع كل ذلك أرض بنغلاديش أرض خصبة للتعليم والتربية الإسلامية حيث إن الإسلاميين يمارسون التعليم الديني بمبادرة منهم دون دعم من الحكومة ودون تدخل ومنع منها، فهناك دراسات عليا إسلامية في الجامعات القومية الأهلية وكذلك في بعض الجامعات الأهلية الإسلامية على النمط المعاصر^{٥١}.

الخاتمة

ختاماً فالله تعالى نسأل أن يوفق المسلمين حكماً وشعباً لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وهذا الأمر ليس بذاك الهين، بل لا بد له من تخطيط دقيق، وتنفيذ حكيم، وتطبيق صميم، وأقدم بعض الحلول والاقتراحات:

١- **تجديد روح الدعوة:** إنما قوة المؤمن قوة إيمانية روحية، فكانت الصحابة بإيمانهم الراسخ أقوى الأمم في التاريخ البشري، وقد تضاءلت هذه الأمة بقدر الوهن فيها إلى أن وصل الأمر إلى التجرد من الإيمان كاملاً أو شبه التجرد، فللعودة إلى المجد من جديد يتحتم التراجع إلى ذلك الإيمان القوي، فلا بد إذن على الدعاة المسلمين أفراداً وهيئاتٍ غرس الإيمان والعاطفة الدينية في قلوب المسلمين، ونشر روح الدعوة على المنهاج القويم الأول، وقال الإمام مالك: "لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"^{٥٢}.

٢- **القيام بحركة دينية شاملة** لنشر العقيدة الحنيفية السمحة، وبتث الوعي الديني بين الناس، وبين الأوساط العلمية المثقفة، وبين الأوساط القادة السياسية ورجال الحكومة، وبين أوساط الجمهور الساحقة على المنهاج النبوي ليحول مجرى التاريخ مرة أخرى كما قام به النبي ﷺ للمجتمع الجاهلي وأصحابه من بعده.

٣ - **توحيد القوى الإسلامية المبعثرة** العاملة في ساحة الدعوة، وذلك بتحطيم الخلافات فيما بينهم التزاماً بأداب الخلاف في الإسلام، والتفاتاً لحملة الأعداء الشرسة، ولا يتم هذا إلا بالتضامن بين الدعاة برحابة الصدور علماً وحلماً، وبالاحترام المتبادل، وبالتضامن بينهم وبين رجال الحكومة بأن يطمأنوا على مناصبهم وقيادتهم، وأن يشجعوا على التمسك بالدين في الأمور الإدارية والسياسية، وأن لهم الأجر مرتين لو التزموا هذا الدين، وسعادة الدارين لهم وللناس قاطبة.

٤ - **صياغة النظام التعليمي**: أن المسلمين قد سادوا العالم بزعامتهم العلمية طوال عشرة قرون، ثم نخصت أوروبا في القرون المتأخرة علماً وصناعة بالروح الغربية العلمانية، فأفسدوا العلم والعالم بها، فإذا أراد الأمة أن تعود إلى تراثهم المجيد لا بد لهم من التحرر فكرةً وعلماً وسياسةً، بل لا بد من الزعامة العلمية بصياغة جديدة، ولا يتم إلا بتفكير عميق، وحركة التدوين الواسعة، جمعاً بين القديم الصالح والجديد النافع، وإنما هي من شأن الحكومات بإشراف جمعيات وهيئات علمية مخططة للتعليم والتربية.

٥ - **استخدام وسائل الإعلام الحديثة المتنوعة** في نشر الوعي الديني للجيل القادم؛ لينشأوا على التربية الإسلامية والروح الإيمانية، والقيم المثلى، وأهم ما يلزم هنا سد سبل الفساد والفاحشة الآتية مع هذه الوسائل كمخترعات غربية، تنشر العلمانية، والنظريات الهدامة من الإباحية والانحلال... والتي تفسد شبابنا ونساءنا، فلا بد إذن محاولة إغلاق تلك المواقع العنكبوتية الفاسدة.

٦ - **إنشاء قنوات فضائية مستقلة** لنشر التعاليم الإسلامية الصافية كشفاً للستار عن أضرار العلمانية وآثار الحضارة الغربية المادية في قضايا المرأة والتربية والأخلاق...، ويمكن مثل هذا الإنجاز بإسهام الأثرياء الصالحين، ورجال

الحكومات المخلصين، والمفكرين المستنيرين، ويمكن استغلال الطموح التجارية لبعض الشركات الصناعية بذكاء وفطنة.

٧- محاولة تحسين كيف بجانب الكم: من المعلوم أن الحركات الإسلامية المقاومة للتيار المضاد للإسلام كالعلمانية والشيوعية...، ليست قليلة العدد والمقدار في الجملة، ولكن الشيء الذي فاتها هو الضعف الكيفي، بمعنى أنها لم تبلغ في وصفها ومعنويتها ذاك الأوج الذي وصلته في القرون الأولى. وإذا توفر هذا وغيره يرجى أن تكون الأمة على صبغة الله بإذنه تعالى كما يجب عليهم أن يصطبغوا بها، قال الله عز وجل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] وهو ولي التوفيق، وهو المستعان.

المصادر والمراجع

- ^١ . Samsad English Bangli Dictionary, By LATE SALL. ENDRA BISWAS M.A. Sahitto Samsad Calcutta9, (P. 1016), Oxford Advanced Learnem,s Dictionary of Courrent English, by Sally Wehmeier, Oxford University. (P. 1155)
- ^٢ . المرجع السابق، ص ١١٥٥.
- ^٣ . المرجع السابق، ص ١١٥٥.
- ^٤ Encyclopeadia Britanica, William Benton, Publisher, Chicago: London: Toronto, vol. 20. P.264
- ^٥ . الدكتور تيسير بن سعد أبو حيمد وآخرون، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، النظام السياسي في الإسلام، الطبعة الأولى، الرياض، مدار الوطن، ص ١٤٨.
- ^٦ . محمد شاكر شريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، (١٤١١هـ) الرياض: دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص ٨.
- ^٧ . القرضاوي، الدكتور يوسف، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/٤، ص ٥٠.

- ^٨. الخوالي، سفر بن عبد الرحمن، *العلمانية*، (رسالة ماجستير، من جامعة أم القرى)، نقلاً عن الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، ص ٥٠.
- ^٩. د. توفيق أحمد، <https://www.alhurra.com/different-angle/2017/09/27>
- ^{١٠}. يقول المفتي فيض الله في مقالته، هي متوافقة تماماً للإسلام، جريدة مانب كنتا اليومية، ١٤/٦/٢٠٢٢م.
- ^{١١}. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الخامسة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ج/٢، ص ٦٨٥.
- ^{١٢}. الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، ط/٦٦، ص ٢١٤.
- ^{١٣}. القرضاوي، المصدر السابق، ص ٧٤.
- ^{١٤}. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المصدر السابق، ص ٦٨١.
- ^{١٥}. أود أن أومي في هذا الصدد أن العلة لنقل القوانين الغربية إلى البلاد الإسلامية هي عجز علمائها عن حسن عرض الشريعة الإسلامية لدى الحكام حيث إتهم وقعوا في الخلافات فيما بينهم وتركوا ميدان القيادة والسيادة للأعداء أو السفهاء من المسلمين، نعم، هناك أسباب أخرى أيضاً كالاستعمار والنفوذ الأوربي، وحب محاكاة الحكام المسلمين للغرب وتقليدهم، كما أشار إليه د. عبد القادر عودة في كتابه "الإسلام بين جهل أبنائه وعجز وعلمائه، ص ٢٧.
- ^{١٦}. القرضاوي، المصدر السابق، ص ١١٧.
- ^{١٧}. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، صحيح البخاري، الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر، رقم الحديث: ٣٤٥٦.
- ^{١٨}. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المصدر السابق، ص ٦٦٠.
- ^{١٩}. الخوالي، سفر، (دون تاريخ)، *العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة*، ص ٣٩٥-٦٠٩. والخالدي، المصدر السابق.

٢٠. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (دون تاريخ)، سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن السندي. تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيخا. (خمس مجلدات)، بيروت، دار المعرفة، رقم الحديث ٢٢٩.
٢١. القشيري، أبو الحسن مسلم بن حجاج النيسابوري، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، صحيح مسلم، الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر، رقم الحديث: ١٤٧٨.
٢٢. وهو الشاعر الملقب بـ"لسان العصر" السيد أكبر حسين الإله آبادي، وقوله ذلك في شعره الأردني حيث قال: يوں قتل پہ بچوں کے وہ بدنام نہ ہوتے = افسوس کہ فرعون کو کالج کی نہ سوجھی (لو أن فرعون عدل نظام التعليم كما يرغب لما نال عار قتل ملايين الأطفال، إلا أنه لم يبلغ تلك الفكرة مع الأسف).
٢٣. صحيح مسلم، المصدر السابق، رقم الحديث ١٤٧٨.
٢٤. الخالدي، محمد فاروق، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، الطبعة الأولى، بيروت، دار المعالي، ص ٨٨.
٢٥. الطنطاوي، علي، ذكريات الطنطاوي، (خمس مجلدات)، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ج / ٥، ص ٢٣٩-٢٣٨.
٢٦. نفس المصدر، ج / ٥، ص ٢٢٦.
٢٧. المصدر نفسه، ص ٢٢.
٢٨. بكر عبد الله أبو زيد، حراسة الفضيلة، الرياض، دار العاصمة، دون تاريخ، ص ٦٨.
٢٩. المصري، د. جميل عبد الله، (١٤٠٩هـ)، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، عمان، دار أم القرى، ص ١٧٤-١٧٧.
٣٠. البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين، (دون تاريخ)، شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد، الرياض، مكتبة الرشد، رقم الحديث ١٠٠٦٦.
٣١. الإمام مالك بن أنس، (دون تاريخ)، موطأ مالك، الهند، إدارة مركز أدب، ديوبند، رقم الحديث ٣٣٣٨.
٣٢. الخالدي، المصدر سابق، ص ٩٥-٩٦.

٣٣. البخاري، المصدر السابق، رقم الحديث ٢٠٧٦.
٣٤. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المصدر السابق، ص ٥٢٢.
٣٥. أنوار الجندي، (دون تاريخ)، إعادة النظر في كتابة العصريين في ضوء الإسلام، (دون مطبعة)، ص ٦٣-٦٤، نقلا عن التيارات الفكرية والعقدية، ص ٩٩.
٣٦. البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، السنن الكبرى، بيروت، دار المعرفة، رقم الحديث ١٨٨٨٤.
٣٧. الإمام مسلم، المصدر السابق، رقم ٥٩، ص ٥٦.
٣٨. الخالدي، المصدر السابق، ص ٩٧-١٠٠.
٣٩. البروتوكول السابع عشر، ص ١٨٧.
٤٠. أنور الجندي، (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، الإسلام والغرب، الطبعة الأولى، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ص ١٨٤.
٤١. جريدة "إنقلاب" اليومية، عنوان المقالة: يتخذ قراراً لجنة منع الخيانة ضد ١١٦ عالماً، الكاتب: صحفي خاص، ٢٢/٦/٢٠٢٢ م.
٤٢. جريدة نياذغتتا اليومية، ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٨ م، وابن غلام صمد، (٢٠١٧ م)، من اثنين وخمسين إلى إحدى وسبعين، (راجشاهي: بريليخ، ط/١، ص ٤٦.
٤٣. The Daily Star, 28 January, 2021
٤٤. بنغابندو والعلمانية، البروفيسور ملتان بششاش، أستاذ قسم اللغة البنغالية، بجامعة جاغانانت، www.dhakatimes24.com
٤٥. كانت الآية موجودة من ١٩٥٢-١٩٧٢ م.
٤٦. الدكتور أحسن سيد، (٢٠١٧ م)، دراسة الحديث في بنغلاديش، بدؤها وتطورها، دأكا: إيدارن بليكشن، ط/ ١، ص ١٤٨.
٤٧. جريدة نياذغتتا اليومية، عنوان المقالة: إبعاد التعليمي الديني من الخطوط العريضة لمنهج التعليم الجديد لكتابها الدكتور/ أ ف م خالد حسين، ١١/٠٢ / ٢٠٢٢ م
٤٨. جريدة "كاليركاتتا" اليومية، العنوان: التعليم الإسلامي في الكليات اختياري، تقلل عدد الطلاب لمحمد علي إرشاد حسين آزاد، ٢/٧/٢٠١٩ م

- ^{٤٩}. مجلة التحريك الشهرية، عنوان المقالة: تقييم نظام التعليم - ٢٠١٠م، لقمر الزمان بن عبد الباري. مايو، ٢٠١٤،
- ^{٥٠}. إيم إي صديقي، (دون تاريخ)، العلمانية في بنغلاديش وفي الهند (بنغلة)، الطبعة الثالثة، رفيق منزل، استيشن رود، هاتهازاري، ص ١١ - ١٥.
- ^{٥١}. نظام التعليم في مدارس بنغلاديش ومناهجه، (دون تاريخ)، ص ١٨٨ - ١٩٥.
- ^{٥٢}. الجوهرى المالكي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله، (١٩٩٧م)، مسند الموطأ، تحقيق: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، بيروت، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، ح ٧٨٣، ص ٥٨٤.